

تاريخ الأغراض الشعرية في الشعر الجزائري الصنهاجي

لعزالي حنان*

كلية الآداب والفنون واللغات جامعة الجيلالي ليابس- سيدي بلعباس (الجزائر)

lazalihanane86@gmail.com

أد/ عمارة بوجمعة

مخبر تجديد البحث في تعليم اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية

كلية الآداب والفنون واللغات جامعة الجيلالي ليابس- سيدي بلعباس (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2019-07-10

تاريخ القبول: 2020-12-23

تاريخ النشر: 2021/05/26

الملخص:

يعدّ الأدب الجزائري مفخرة الجزائريين أجمع رغم تنكّر الكثيرين له، واعتبار بعض أدبائه من أدباء المشرق، فلقد كان التاريخ الجزائري غنيا سواء من الناحية التاريخية أو الأدبية، فقد مرّ بعدّة مراحل قبل الاستعمار الفرنسي، وهذا ما زاد من تطور الحركة الأدبية في الجزائر بدءا من القرن الثالث هجري إلى غاية الدولة العثمانية، وكانت الدولة الصنهاجية من بين الدول التي مرّت على تاريخ الجزائر القديم، فكانت جعبة مليئة بالأدب سواء النثر أو الشعر وحملت أسماء العديد من الأدباء الذين لا يعرفهم الكثير منا ويمكن أن ينسبواهم إلى غير بلدنا الأصلي، وهذا ما لمسناه عند العديد منهم إلا أنّ البحث في أعماق التراث القديم سمح بإخراج هذه الأسماء إلى النور، فوجدنا أسماء قد طمست أو قد نسبت إلى غير بلدها الأصلي، فكادت هذه الأعلام تندثر لولا جهود الباحثين الذين سعوا جاهدين إلى إخراجها إلى النور ونفض الغبار عنها والسعي إلى جمع شمل هذه الأسرة الأدبية في هاته الفترة حيث راحت تكتب في العديد من الأغراض الشعرية، فإن حاولوا الكتابة في الوصف أحسنوا التصوير، وإن أرادوا مدح شخص أبدعوا في مدحه، وإن تغزلوا أحسنوا الغزل، أما إذا أرادوا رثاء شخص أو مكان فقد أبهروا العالم بمراثيهم، فهؤلاء الشعراء كانت قريحتهم تجود بما لا يجود به أيّ شخص آخر ما جعل أسماءهم تستحق الكتابة بماء من ذهب وأن تحفظ في الأذهان وأن يخلدوا تخليدا لأهم حقيقة قد برعوا في حسن صياغة أشعارهم.

الكلمات المفتاحية: الأدب الجزائري - صنهاجة - التاريخ السياسي - الأغراض الشعرية.

Abstract:

Algerian literature has considered the pride of the Algerians, despite the denial of most and the consideration of some of its writers' literature of the East.

Algerian history has been historically rich or literary. It has gone through several stages before French colonialism and this has increased the development of the literary movement in Algeria from the third century until the end of the Ottoman Empire.

The Sanhaji countries were part of the countries that crossed the history of the Algerian Ancients it was a quiver full of literature prose and poetry and are named after many writers who do not know many of us and can their country of origin, but research into the depths of

* - المؤلف المرسل

the ancient heritage helped to bring these names to light and we found names attributed to the non-native country these writers would almost disappear without the efforts of the researchers who worked hard to bring them to light and seek to collect this literary family in this period and s'ules tried to write in the description, they did their best, but want to whine on a person or a place they will dazzle the world.

So that's what made their names worthy of writing the golden names and kept in mind as they were able to formulate their opinion.

Key words: Algerian literature / Sanhaja / political history / poetic accessories

مقدمة:

يعتبر الأدب الجزائري مهما في تاريخ الأدب المغربي رغم تنكر الكثيرين له واعتبار بعض أدبائه من أدباء المشرق، فإذا ما ولجنا في تاريخ هذا الأدب فإننا نجد أنه قد وجد منذ الفترة الرستمية أي بداية من القرن الثالث هجري وأن ميلاد الأدب لم يكن مع نهضة الأمير عبد القادر كما كان يعتقد.

لكن من يغوص في أعماق تاريخ الأدب الجزائري القديم يجده مشبعا بشخصيات طمست بطمس بعض الحضارات التي اندثرت نتيجة الاستعمار، كما أنّ بعض الكتب والمؤلفات التي سلبت من الجزائريين ووضعت في مراكز ثقافية غربية أو في دول عربية غير موطنها الأصلي وهذا ما أدى إلى طمس الأدب الجزائري القديم.

فالكثير منا إن سأله عن هذا الأدب، فإنه لا يعطيك حقه ويتنكر له ويكون على بينة من أن الأدب الجزائري حديث وأن الانطلاقة الأولى له كانت بداية مع الاستعمار الفرنسي، لكن الواقع عكس ذلك، فمن تتبّع تاريخ الجزائر يجده يزخر بكّم هائل من الأدب مازال طيّ النسيان يرقد في أماكن يرفض أصحابها إخراجها إلى العلماء والباحثين لدراستها أو معرفة فحواها، وهذا ما جعل بعض المثقفين يتنكرون لهذا الأدب كما سبق وأن ذكرنا يبقى حبس الأدراج والخزائن يغمره الغبار وتتآكل وريقاته نتيجة إهمال هذا التراث وعدم اكتراث الباحثين والطلاب لهذا الأدب.

إنّ الأدباء الجزائريين لم يتركوا مجالا إلّا وألّفوا فيه، فنجد كتبنا تضم الجانب التاريخي، بالإضافة إلى اهتمامهم بالفقه ضف إلى ذلك مختلف المصنّفات التي أبدعوا فيها، فالكثير من الأدباء الجزائريين نسبوا إلى غير موقعهم الأصلي لكونهم لم يستقروا فيه، وإنّما قضوا فيها مدّة من الزمن فهاهو ذا ابن رشيق القيرواني الذي كان ميلاده في المسيلة، إلّا أنّه نسب إلى القيروان لمكوته مدّة فيها والذي كان أحد أكبر نقاد ذلك الزمان.

فالأدباء الجزائريون تفتّنوا في كتاباتهم الأدبية خاصة الشعرية منها، فنوّعوا في استخدام الأغراض الشعرية بكلّ أنواعها وزيّنوا دواوينهم بهاته الأغراض، لذا ارتأينا أن نأخذ الشعر في الدولة الصنهاجية كمثال عن هذا الأدب الغني والمتنوع.

يعدّ قدامة بن جعفر صاحب كتاب نقد الشعر من النقاد الذين حرصوا على أن يكون المعنى موجّها للغرض المنشود وفي ذلك قال " ولما كانت أقسام المعاني التي تحتاج فيها إلى أن تكون على هذه الصّفة ممّا لا نهاية لعدده ولم

يكن أن يؤتى على تحديد جميع ذلك رأيت أن أجعل ذلك في الأعلام من أغراض الشعراء وما هم عليه أكثر صونا وعليه أشدّ روما، وهو المديح، والهجاء، والنسيب، والمرثي، والوصف، والتشبيه¹.

بينما ذهب البعض الآخر إلى القول بأنّ: "الشعر بني على أربعة أركان، وهي المدح، والهجاء، والنسيب، والثناء"² وعليه نخلص من هذا القول إلى أنّ الأغراض الشعرية هي هذه الأربعة، أمّا بقية الأغراض الأخرى مثل العتاب والشكوى والوصف والفخر وغير ذلك من فنون ما هي إلا أغراض متفرعة أو متشعبة عن هذه الأغراض.

إلا أنّ ابن رشيق قد أدرج في كتابه رأي الرماني الذي لم يوافق الآخرين في عدد أنواع الأغراض الشعرية فقال "أكثر ما تجري عليه أغراض الشعر خمسة: النسيب، والمديح، والهجاء، والفخر، والوصف، ويدخل التشبيه والاستعارة في باب الوصف"³.

قال قوم: الشعر كلّ نوعان: مدح وهجاء، فإلى المدح يرجع الرثاء والافتخار، والنسيب، وما تعلق بذلك من محمود الوصف، كصفات الحمول والآثار، والتشبيهات الحسان، وكذلك تحسين الأخلاق: كالأمثال والحكم، والمواعظ، والزهد في الدنيا، والقناعة، والهجاء ضد ذلك كلّ، غير أنّ العتاب حال بين الحلين، فهو طرف كلّ واحد منهما، وكذلك الإغراء ليس بمدح، ولا هجاء، لأنك لا تغري بإنسان فتقول: إنّه حقير ولا ذليل، إلا إذا كان عليك وعلى المغري الدرك ولا تقصد بمدحه الثناء عليه فيكون ذلك على وجهه"⁴.

هذا القول يجعل الشعر "نوعين" رئيسين تتفرّع عنهما باقي "الأنواع"، وبذلك يصبح المدح والهجاء نوعين يشملان كلّ التفرعات الأخرى، ويقوم هذا التصنيف على المقابلة، فالأنواع الشعرية المندرجة في باب المدح هي نقيض ما يضمنه باب الهجاء، غير أنّ صاحب هذا التقسيم يجعل "للنوعين" الشعرين نقطة تقاطع وتتمثل في "العتاب" و"الإغراء".

قد مثّل مفهوم "الغرض" بالإضافة إلى مفهوم "البيت" الشعري، مقوما نقديا في دراسات النقاد القدامى، إذ يصبح الغرض، كالبيت، معيارا لقراءة القصائد ومعرفة جودتها، وردائها، والحكم عليها، وتصنيفها، إذ يجب على من أراد التصرف في المعاني وحسن المذهب في اجتلابها والحدق في تأليف بعضها إلى بعض أن يعرف أنّ للشعراء أغراضا أول، هي الباعثة على قول الشعر، وهي أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات النفوس، لكون تلك الأمور ممّا يناسبها ويسسطها أو ينافرها أو يقبضها أو لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين⁵ هذا فيما يخصّ تعريف الغرض الشعري.

لقد ظهرت الأغراض الشعرية في هاته الفترة بمختلف أنواعها والتي راحت تعبر عن أفكار الشاعر وما يغوص في أعماق أفكاره، وما يختلج في صدره، فنوع في استخدام هاته الأغراض، وراح يزيّن دواوينه وقصائده بالتنوع في هذه الأغراض، فنجد الشاعر يستخدم الوصف والثناء والمدح والهجاء، وذلك بحسب ما جادت به قريحته، فالشاعر

الصنهاجي⁶ في الأدب الجزائري كان كغيره من الشعراء المشاركة أو المغاربة يتفنن في الاستخدامات والإبداع مما جعله يترك إرثا أدبيا جزائري صنهاجي في القمة والجودة، فمن بين الأغراض الشعرية التي تفنن فيها:

الغزل: ويعتبر هذا الغرض من أشهر الأغراض الشعرية وذلك لكونه عرف منذ العصر الجاهلي مع أصحاب المعلقة، وفيه قال ابن رشيق القيرواني: "حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رسلاها، قريب المعاني سهلها، غير كز ولا غامض، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر الماء، لين الأثناء، رطب المكر، شفاف الجوهر، يطرب الحزين ويستخف الرصين"⁷، ومن خلال ما ذكره ابن رشيق نجد أنه لم يعطنا تعريفا للغزل، وإنما راح يسرد لنا خصائص ومميزات غرض الغزل التي ينبغي أن يتميز بها، في حين أننا نجد ابن خلدون يذهب بهذا الغرض مذهبا آخر، حيث يقول: "واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به، عند أهله، ولا تصلح للفن الآخر، ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر"⁸ فبن خلدون يعبر عن الغزل بأنه فن وينبغي أن يتميز بأسلوب خاص يميزه عن باقي الفنون.

ومما قاله ابراهيم الأريسي في الغزل⁹:

وما بي أن أفنى عليك تأسفا
ولكنني أخشى بهجرك تنقضي
ويعد عني حسن منظرك الذي
ألا فاحكمي يا ملك فيمن ملكته
ويقول الشاعر عمر بن فلفول البجائي¹⁰:

وقالوا نأى عنك الحبيب فما الذي
فإن أنت أحببت التصبر بعده
فإن الهوى مهما تمكن في الحشا
فكم رام أهل الحب قبلك سلوة
فقلت ألا للصبر مفرع عاشق
سأصبر حتى يفتح الله في الهوى

وقال علي بن أبي الرجال الشيباني التاهرتي حيث راح ينشد هذه القصيدة يتغزل بفتاة ذات طابع رقيق ومعاني رقيقة مؤثرة في النفس والقلب كما عبر عن ذلك تلميذه ابن رشيق¹¹

غراء واضحة ينوس بقريها
صدت فأغرت بالسحوم مدامعي
تشكو البعاد إذا بعدت تصبرا
ولقد يبيت أخو المودة لائمي
حتى إذا طلعت فأبصر شخصها
كم قد قطعت بوصلها من ليلة
يسعى بها كالبدر ليلة تمه
آليت أترك ذا وتلك وهذه
وقال أيضا:

خليبي إن لم تسعداني فأقصرا
تريدان مئي النسك في غير حينه
ومما قاله أيضا:

مر بنا يهتز في مشيه
فمقلتي ترتع في حسنه
مثل اهتزاز الغصن الرطب
ومقلتهاه أحرقت¹⁴ قلبي¹⁵

المدح: هو الآخر أحد أشهر الأغراض الشعرية التي وجدت منذ العصر الجاهلي، وعنه قال ابن رشيق القيرواني: "وسبيل الشاعر إذا مدح ملكا أن يسلك طريقة الإفصاح والإشادة بذكر الممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية ويجتنب مع ذلك التقدير والتجاوز والتطويل، فإن للملك سامة وضجرا ربما عاب لأجلها مالا يعاب وحرمة من لا يريد حرمانه"¹⁶، فقد راح ابن رشيق يعطي أهم ما يلزم للمديح أن يتسم به باعتباره هو شاعر أيضا، ومن هذا المنطلق فهو أدري بما يجب أن يحويه هذا الغرض.

وفي الغرض نفسه يقول أستاذه النهشلي أنه لا بد على هذا الغرض أن يكون جامعا لخصال المديح¹⁷، حتى ينأى بذلك عن أي مرأ أو كذب.

وقد أدلى عبد الملك مرتاض برأيه هو الآخر حول هذا الغرض حيث قال: "ولعل هذا النوع الشعري، أن يكون ألزم الأنواع لشعراء العرب القدامى فلم نكد نظفر بشاعر شهير إلا مدح الخلفاء والأمراء والأشراف، أو قل ببساطة، إنه مدح الأغنياء إما طمعا في بعض ما لهم وهو الأظهر من الأطوار، وإما إعجابا بشهامتهم وخلالهم أو

كرامتهم ومآثرهم، وهو الأقا من الأحوال " ¹⁸ ومن نماذج ما قيل في المدح، مدح أبي بكر الداني المعروف بابن اللبانة ¹⁹ لباديس بن المنصور الحمّادي ²⁰:

في نـرجس الأحـداق
نبت الهوى مغروس
وفي نقـا الكـافور
وسوسـن الأجيـاد
نبت القنا الميـاد ²¹
والمنـدل الرطـب
وقال يوسف بن التّحوي البسكري ²² نزىل قلعة بني حمّاد (513/453هـ) في مدح مصر:

أين مصر وأين سـكان مصر
حدّثاني عن نيل مصر فإني
والرياض الـي على جانبيه
بيننا شـقّة النوى والبعاد
رّق قلبي حتّى لقد خلت أني
منذ فارقتـه إلى الماء صـاد
وقال في مدح أبي حامد الغزالي ²³:

أبو حامد أحيـا من الدّين علمه
ووفقه الرّحمن فيما أتى به
فقصّها تفصيلها فأتى بها
وجدّد منه ما تقدّم من عهد
وألممه في ما أراد إلى الرّشد
فجاءت كأمثال النّجوم الـي تهدي ²⁴
وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلي:

يقولون لي لا تجيد الهجاء
فقالوا: لأنك ترجوا الثّواب
فقلت: صفاتي؟ إليكم فلي حجة
عفاف اللسان مقال الجميل
وقال محمد بن البين الأندلسي ²⁶:

برود قد خلقن على حتّى
فجدّ دعا ليشهد كلّ راء
وحمل عاتقي ثقل المعالي
حكين الصّبر في يوم الوداع
بأني من هباتك باتّساع
فإني بالتّحمل ذو اضطلاع ²⁷

وقال علي بن اسماعيل القلعي في مدح الحافظ العبيدي:

ولا بدّ من عزمٍ يحْيِلُ أنِّي
يجوب ظلاماً كالظّليم إذا سرى
وليل صحت السّيف يَرعد حدّه
حملت به درعي وسيفي وإمّا
وأشقر اللّون لولا انتسابه

قدحت على الظّلماء من نذره فجرا
إذا جنّ جون كان يبضته البдра
وقد شاب فيه مفرق الصّعدة السّما
حملت غدير الماء والغصن والنهرا
إلى البرق سيرا خلته المسك والهجرة²⁸

أمّا محمد بن عبد الله القلعي الأصمّ²⁹ في مدح بني الأشقر:

ترى فاض شؤبوب من الودق ساجم
وماذا النّدى والوقت بالصّيف حائم
وما هذه مزن وماذا بوارق

وأومض مشبوب من البرق جاحم
وماذا السّنا والجوّ بالليل فاحم
ولكنّها أيّمانكم والصّوارم

الرّثاء: وقد أخذ هو الآخر مكانة وسط الإبداع الشعري العربي، لما اقتضته الحاجة لوجوده، وهو يعني باختصار: تعداد مناقب الميّت وإظهار التّفجع والتّلهف عليه³⁰، في حين ذهب ابن رشيق بما جاء به عن الرّثاء مذهبا آخر، حيث يقول: "وليس بين الرّثاء والمدح فرق، إلّا أن يخلط بالرّثاء شيء يدلّ على أنّ المقصود به ميت مثل (كان) أو (عدمنا به كيت وكيت)، وما يشاكل هذا ليعلم أنّه ميّت، وسيل الرّثاء أن يكون ظاهر التّفجع، بين الحسرة مخلوطا بالتّلهف والأسف والاستعظام، إذا كان الميّت ملكا أو رئيسا كبيرا"³¹ وبذلك يكون ابن رشيق قد وضّح لنا الفرق بين المدح والرّثاء.

أمّا عن نماذج هذا الغرض رثاء الحسن بن رشيق المسيلي قاضي بلدة المحمّدية³²:

العفو في فم ذاك الصّارخ النّاعي
فقد نعى ملء أفواه وأفئدة
أما لئن صحّ ما جاء البرية
يا شؤم طائر أخبار مبرّجة

ولا أجبت بخير دعوة الدّاعي
وقد نعى ملء أبصار وأسماع
ليكثرن من الباكين أشياعي
يطير قلبي لها من بين أضلاعي

ومّا قاله عبد الجبار بن حمديس الصّقلي في رثاء القائد أبي الحسن علي بن حمدون الصنهاجي³³ (446-527هـ):

بكى فقدك العزّ المؤبّد والمجد
وناحت عليك الحرف والضّمّر الجرد

وقد ندبتك البيض والسمّر³⁴ في الوغى
وما فقدت إلاّ عظيما وفقده
وكنّت أمين الملك حقا وسيفه
وعدّدك التأييد والحسب والعدّ
به بين أحشاء العلى يوجد الوجد
ومن حسنات البرّ كان لك الغمد

الوصف: لن يكون ذلك من باب المغالاة إذا قلنا إنّما الشعر وصف، فالمتغزل يصف لنا شوقه لخليلته، والمادح يصف لنا خصال ممدوحه، والرائي يصف لنا مناقب فقيده والهاجي يصف لنا مثالب غريمه، وهذا نفسه ما ذهب إليه ابن رشيق حين قال " الشعر إلاّ أقله راجع إلى باب الوصف، فلا سبيل إلى حصره واستقصائه، وهو مناسب للتشبيه، مشتمل عليه وليس به، لأنّه به كثيرا به أضعافه، والفرق بين الوصف والتشبيه أنّ هذا إخبار عن حقيقة الشّيء وأنّ ذلك مجاز وتمثيل، وأحسن الوصف ما نعت به الشّيء حتّى يكاد يمثل الشّاع³⁵، لكن هذا لا ينفي استعمال المجاز عند وصف الشّيء حتّى يضيف عليه نوعا من الجمال والإبداع.

ومّا قاله يعلى بن ابراهيم الأريسي³⁶ في وصف البستان:

يفيض بالماء منه كلّ فوهة
كأثّها بين أشجار منوّرة
مجامر تحت أثواب مجلبة³⁹
لكلّ فوارة³⁷ بالماء تنذر
ظلت بمسحلس اللّباب³⁸ تستجف
على مساحبها دخانها يهف⁴⁰

وقال عبد الكريم التّهشلي في وصف دار البحر بالمنصورية⁴¹:

يا ربّ فتیان صدق رحت بينهم
مرضى أصائلها حسرى شمائلها
مماطيا شمس إبريق إذا مزّجت
من ساحل طافح بالماء معتلج
والشّمس كالذنف المعشوق في الأفق
تروّح الغصن الممطور في الورق
تقلّدت عند مرجان من الترق
كأثّما نفسه صيغت من الحدق⁴²

وقال الحسن بن رشيق القيرواني في وصف البرق⁴³:

أرى بارقا بالأبرق الفرد يومض
كأنّ سليمي من أعاليه أشرفت
إذا ما تولى ومضه نفّض الدّجى
يذهب ما بين الدّجى ويفضّض
تمدّ لنا كفا خضيبا وتقبض
له صبغة المصود أو كاد ينفض

أمّا إذا انتقلنا إلى الشّاعر عمر بن الأشيري التّلمساني⁴⁴ فإنّنا نجد له قصائد ممتعة في عدّة أغراض شعرية والتي سننتقي منها غرض الوصف الذي كتب فيه هذه القصائد الشعرية حيث نجدده واصفا معركة حربية⁴⁵ فيقول فيها:

دارت رحا الهلكات بالسبطاط
وأهين فيها الشرك أيّ إهانة
إن لم تقم فيها قيامة ملكهم
وأصارها وطاء الجياد هشيمة
وسطا بها ريب الزمان السّاطي
شفعت كربه ماطها بمياط
فلقد رأوا جملا من الأشرار
سوداء معتبر اللّعين الواطي

وفي قصيدة أخرى يصف طائرا ناطقا بكلام علّمه إيتاه⁴⁶ وذلك لما انتصر عبد المؤمن بن عليّ عام 547هـ (1153م) على يحيى بن عبد العزيز بالله بن حماد أمير بجاية أتى به إلى مراكش وهناك في منفاه كان يشغل بصيد الأسد، فجاء يوما إلى مجلس الخليفة شبل فقطع الشبل الصفوف ونام عند رجلي الخليفة فأنشد الشاعر هذه المقطوعة ذاكرا فيها دخول الشبل إلى مجلس الخليفة وواصف الطائر الناطق المهدي إليه:

أنس الشبل ابتهاجا بالأسد
ودعا الطائر بالنصر لكم
أنطق الخالق مخلوقاته
إنّك القائم بالأمر له
ورأى شبهه أيّبه فقصد
ففضى حقكم لما ورد
بالشهادات فكلّ قد شهد
بعدهما طال على الناس الأمد

الهجاء: ونجد غرض الهجاء عند الشاعر ابن حلو الجيجلي الذي لا نعلم عنه شيئا غير أنّه من المغرب الأوسط حيث أنّه ولد بمدينة جيجل المنسوب إليها، وأنّه كان يعيش بدمشق في أواسط القرن السادس الهجري حيث نلمس أنّه يهجو في هذه الأبيات بعض حثالة خلق الله فيقول فيهم:

يحتاج من كلّ الحاجات مثلكم
فلو سلختم قرّانا في جماجمكم
نتف الشّوارب بعد الكيّ في الرّاس
كونوا حالة خلق الله في النّاس

العتاب والشكوى: ونجد هذا الغرض عند الشاعر يعلى بن ابراهيم الأريسي حيث أتى الشاعر الفضل جعفرا كاتب المعزّ بن سيف العزيز بالله زائرا فحجب فقال:

أتيتك زائرا فحجبت عيّ
فلا تحسب بأنّي ذو اغتنام
ولم يعرف مكانك بالحجاب
فلي نفس على اللأواء قرّت
لأكل عند مثلك أو شراب
جوانبها وتقعع بالتراب

أمّا في هذه القصيدة فإنّا نجد الشاعر علي بن أبي الرجال الشّيباني يشتكي في هذه القصيدة من أحوال النّاس وقلة ثقتهم وإنصافهم فيقول:

أيّا ربّ إنّ الناس لا ينصفونني
ولم يحسنوا قرضي على حسناتي
إذا ما رأوني في رخاء تردّدوا
إليّ وأعدائي لدى الأزمات
ومهما أكن في نعمة حزنوا لها
ذوو أنفوس في شدّة جذلات
ثقاتي ما دامت صلاتي لديهم
وإنّ عنهم أخّرتهما فعداتي

وكخلاصة يعتبر الشعر هو المرأة العاكسة لحياة أي مجتمع، فالشاعر يحاول أن يتخذ من هذا الشعر زورقا له حتّى يتفنّن ويدع فيه شكلا ومضمونا، وهو حال الشعر الجزائري الصنهاجي الذي تفنّن فيه شعراؤه وأغدقوا فيه بقرائحهم التي جادت بجميع فنون الشعر فلم يتركوا غرضا من الأغراض الشعرية إلّا ونظموا فيها وما هذا إلّا دليل على تمكنهم وبراعتهم في الأدب رغم أنّ تعليمهم الأول كانت انطلاقته الأولى من الزوايا والكتاتيب و هذا ما جعل الشعر الصنهاجي يمتاز بقوة وحسن السبك لما كان يمتاز به الشعر المشرقي، فالشعر ما هو إلّا نشاط إنساني فيّ متصل بحياة الأمة التي تثمره و رغم ما عرفته هذه الفترة من نزاعات وصراعات إلّا أنّها أنجبت ثلّة من الشعراء الذين أوصلوا شعرنا القديم إلى أبعد حدّ، كما أنّ الشعر في هذه الفترة قد تساوى مع النثر في الأهمية، فراح الشعراء يطلقون قرائحهم تجود بكلّ ما فيها من إبداع وابتكار وسمو بشعرهم إلى أعلى الدّرجات.

الهوامش:

¹ أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دس، ص 91.

² أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، بيروت، ط 1، ج 1، دس، ص 246.

³ نفس المصدر، ص 247.

⁴ نفسه، ص 248.

⁵ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، بيروت، ط 1، ج 1، 1988، ص 73.

⁶ سميت صنهاجة نسبة إلى مؤسّسها بلقين بن زيري بن مناد.

⁷ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآداب، (م س ذ)، ص 81.

⁸ ابن خلدون، المقدمة، ج 1، دط، ص 628.

⁹ ياغي، حياة القيروان، دط، 1961، ص 157.

¹⁰ قيل أنّه كان متفوقا في البلاغة والبيان، ولكن لم يصلنا من أدبه سوى هذه المقطوعة.

¹¹ نظم هذه القصيدة يتغزل فيها بفتاة.

¹² العماد الأصفهازي، خريدة القصر، دط، ج 1، دس، ص 179.

¹³ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج 2، دس، ص 108.

¹⁴ أي المقلتان، لأنّ التشبيه جمع في الحقيقة والجماعة تخبر عنها كما تخبر عن الواحد.

- 15 نفس المصدر، ص108.
- 16 نفس المصدر، ص77.
- 17 ينظر: عبد الكريم التّنهشلي، الممتع في صناعة الشّعر، منشأة المعارف بالإسكندرية، دط، دس، ص07.
- 18 عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القلم، دار هومه، الجزائر، ط4، دس، ص64.
- 19 سَمّي بهذا الاسم لأنّ أمّه على ما قيل كانت تتبع اللّبن.
- 20 هو سادس ملوك بني حمّاد تولّى عام 498هـ وتوفي قبل أن يستكمل سنة وكان عظيم السّطوة شديد البأس سريع البطش.
- 21 القنا جمع قناة والمراد بها الغصون ويشبهون بها قوام الحسان.
- 22 نسبة إلى بسكرة واحة واقعة بالجنوب الشرقي الجزائري.
- 23 هو الإمام المعروف صاحب كتاب "إحياء علوم الدّين".
- 24 العماد الأصفهاني، خريدة القصر، (م س ذ)، ص325.
- 25 البستاني، المجاني الحديثة، دط، دس، ج5، ص173-174.
- 26 هذا من الشّعراء الأندلسيين الذين قدموا إلى المغرب الأوسط واستقروا به، وهو مذكور في ذخيرة ابن بسام.
- 27 العماد الأصفهاني، خريدة القصر، (م س ذ)، ج1، ص186.
- 28 نفس المصدر، ص341-342.
- 29 كان الأصم جيّد الشّعر لكنّه مبخوس الحظّ.
- 30 ينظر: السيّد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في الأدبيات وإنشاء لغة العرب، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ج1، دط، دس، ص402.
- 31 ابن رشيق القيرواني، العمدّة في محاسن الشّعر وآدابه، ج2، ص96.
- 32 القاضي هذا هو طاهر بن عبد الله: قاضي المحمّدية أي المسيلة وقد بلغته وفاته وهو بالقيروان.
- 33 اسم وزير من وزراء بني حمّاد بالقلعة، وقد ورث الوزارة عن أبيه ميمون بن حمدون الصنهاجي.
- 34 البيض: السّيوف والسمر: الرماح.
- 35 ابن رشيق القيرواني، العمدّة في محاسن الشعر وآدابه، (م س ذ)، ج2، ص230.
- 36 الأريسي: نسبة إلى أريس مدينة بالأوراس من ولاية باتنة بالجنوب الشرقي منها كان شاعرا حدقا صاحب معان وتوليد، وكان لألفاظه حلاوة وعليها طلاوة، إلّا أنّه كان غريب العبارة يرتكب التّكلف أحيانا كما كان له حظ في الطّب والهيئة علاوة على الأدب والشّعر الذي كان يذهب إلى الفلسفة فيه.
- 37 منع الماء وهو يختص بما يفور صاعدا.
- 38 نبات يتعلّق على الشّجر ورقه كورقة اللوبيا.
- 39 لابسة الجلباب وهو ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء.
- 40 الباغلي، حياة القيروان، ص156.
- 41 مدينة صبرة بالقرب من القيروان، ودعيت بالمنصورية نسبة إلى المنصور بن بلقين الزيري الصنهاجي الذي تولّى الإمارة عام 363هـ ودار البحر المراد بها بركة كانت في قصر من قصوره.
- 42 الحصري، زهر الآداب، لبنان، دط، دت، ج1، ص190-191.
- 43 الباغلي، الديوان، ص197.
- 44 سمي بالأشيري نسبة إلى أشير هي مدينة أنشأها زيري بن مّاد الصّنهاجي 324هـ بالجنوب الشرقي من مدينة البروقية.

⁴⁵ وقعت هذه سنة 569هـ بين المسلمين والنصارى.

⁴⁶ العامري، الحلل الموشية، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 1979، ص173.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن خلدون، المقدمة، ج1، دط.
2. أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دس.
3. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، بيروت، ط1، ج1، دس.
4. البستاني، المجاني الحديثة، دط، دس، ج5.
5. الحصري، زهر الآداب، لبنان، دط، دت، ج1.
6. السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في الأدبيات وإنشاء لغة العرب، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ج1، دط، دس.
7. العامري، الحلل الموشية، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 1979.
8. العماد الأصفهاني، خريدة القصر، دط، ج1، دس.
9. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، بيروت، ط1، ج1، 1988.
10. عبد الكريم النهشلي، الممتع في صناعة الشعر، منشأة المعارف بالإسكندرية، دط، دس.
11. عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، دار هومه، الجزائر، ط4، دس.